العلاقات العربية-الإيرانية
منذ الانتفاضات العربية

هذه السلسلة

في سياق الرسالة الفكرية التي يضطلع بها "المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات"، وفي إطار نشاطه العلمي والبحثي، تُعنى "سلسلة ترجمان" بتعريف قادة الرأي والنخب التربوية والسياسية والاقتصادية العربية إلى الإنتاج الفكري الجديد والمهم خارج العالم العربي، من طريق الترجمة الأمينة الموثوقة المأذونة، للأعمال والمؤلفات الأجنبية الجديدة أو ذات القيمة المتجددة في مجالات الدراسات الإنسانية والاجتماعية عامة، وفي العلوم الاقتصادية والاجتماعية والإدارية والسياسية والثقافية بصورة خاصة.

وتستأنس "سلسلة ترجمان" وتسترشد بآراء نخبة من المفكرين والأكاديميين من مختلف البلدان العربية، لاقتراح الأعمال الجديرة بالترجمة، ومناقشة الإشكالات التي يواجهها الدارسون والباحثون والطلبة الجامعيون العرب كالافتقار إلى النتاج العلمي والثقافي للمؤلفين والمفكرين الأجانب، وشيوع الترجمات المشوَّهة أو المتدنية المستوى.

وتسعى هذه السلسلة، من خلال الترجمة عن مختلف اللغات الأجنبية، إلى المساهمة في تعزيز برامج "المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات" الرامية إلى إذكاء روح البحث والاستقصاء والنقد، وتطوير الأدوات والمفاهيم وآليات التراكم المعرفي، والتأثير في الحيز العام، لتواصل أداء رسالتها في خدمة النهوض الفكري، والتعليم الجامعي والأكاديمي، والثقافة العربية بصورة عامة.

العلاقات العربية-الإيرانية
منذ الانتفاضات العربية

محجوب الزويري

ترجمة

سارة سليمان دوفو

المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات
Arab Center for Research & Policy Studies

الفهرسة في أثناء النشر - إعداد المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات
الزويري، محجوب
العلاقات العربية-الإيرانية منذ الانتفاضات العربية/ محجوب الزويري؛ ترجمة سارة سليمان دوفو.
264 صفحة: إيضاحيات؛ 22 سم. - (سلسلة ترجمان)
يشتمل على ببليوغرافية (صفحات 241-251) وفهرس عام.
ISBN 978-614-445-772-6
1. إيران - العلاقات الخارجية - البلدان العربية. 2. البلدان العربية - العلاقات الخارجية - إيران. 3. الربيع العربي، 2010. أ. دوفو، سارة سليمان (مترجم). ب. العنوان. ج. السلسلة.
327.550174927

هذه ترجمة مأذون بها حصريًا من الناشر لكتاب

Arab-Iranian Relations Since the Arab Uprising

by Mahjoob Zweiri

Copyright © 2024 Mahjoob Zweiri

عن دار النشر

Taylor & Francis Group LLC

All rights reserved

"Authorised translation from the English language edition published by Routledge, a member of the Taylor & Francis Group"

الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبّر بالضرورة عن
اتجاهات يتبناها المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات

الناشر



شارع الطرفة - منطقة 70
وادي البنات - ص. ب: 10277 - الظعاين، قطر
هاتف: 00974 40356888

جادة الجنرال فؤاد شهاب شارع سليم تقلا بناية الصيفي 174
ص. ب: 4965 11 رياض الصلح بيروت 2180 1107 لبنان
هاتف: 8 991837 1 00961 فاكس: 00961 1 991839
البريد الإلكتروني: beirutoffice@dohainstitute.org
الموقع الإلكتروني: www.dohainstitute.org

© حقوق الطبع والنشر محفوظة للمركز

الطبعة الأولى
بيروت، تشرين الأول/ أكتوبر 2026

المحتويات

قائمة الجداول والأشكال 7

مقدمة المؤلف للطبعة العربية 9

مقدمة الطبعة الإنكليزية 15

مقدمة 17

الفصل الأول: لماذا تكتسب دراسة العلاقات العربية-الإيرانية أهمية خاصة؟ 29

الفصل الثاني: إيران والانتفاضات العربية: ردة الفعل اللحظية 83

الفصل الثالث: الشعوب لا السلطة: حالة البحرين وليبيا وتونس ومصر 109

الفصل الرابع: الأصدقاء لا الحرية: حالة سورية والعراق واليمن ولبنان 143

الفصل الخامس: إيران في أعين العرب 181

خاتمة 229

المراجع 241

فهرس عام 253

قائمة الجداول والأشكال

الجداول

(5-1): سؤال: هل تعتقد أن التوترات بين السُّنة والشيعة تقتصر على العراق أم أنها مشكلة متنامية في العالم الإسلامي؟ 207

(5-2): التأييد الذي يتلقاه حزب الله في العالم العربي 208

(5-3): التأييد الذي يتلقاه حزب الله في لبنان 208

(5-4): تأييد السعودية وإيران في بلدان عربية 209

(5-5): الحلفاء والتهديدات في الشرق الأوسط 210

(5-6أ): العلاقات العربية-الإيرانية في الوقت الراهن 218

(5-6ب): العلاقات العربية-الإيرانية خلال السنوات الخمس المقبلة 219

(5-7): التدخل الإيراني مبرَّر في العراق وسورية واليمن 221

(5-8): الموقف من إيران بناءً على المذهب أو الانتماء الطائفي 221

(5-9): أهم التهديدات التي يواجهها الأمن العربي 223

الأشكال

(1-1): أبعاد العلاقات العربية-الإيرانية وأشكالها إبان الثورة الإسلامية في إيران عام 1979 49

(1-2): المراحل التي مرت بها العلاقات العربية-الإيرانية
منذ الثورة الإسلامية الإيرانية عام 1979 62

(5-1): معدلات استحسان إيران 206

(5-2): المواقف العربية من إيران في عام 2012 212

(5-3): الموقف من القول إن "السياسة الإيرانية تسهم
في الانقسام الطائفي في العالم العربي" 213

(5-4): الموقف من قولهم إن "إيران تسعى لتحقيق أجندتها الخاصة
وخدمة مصالحها" 214

(5-5): الدور الإيراني في سورية (2012) 215

(5-6): الدور الإيراني في البحرين (2012) 216

(5-7): المواقف من السياسة الخارجية الإيرانية 217

(5-8): التهديد الأكبر للأمن القومي 218

(5-9): الدور الإقليمي لإيران خلال السنوات العشر الأخيرة 219

(5-10): صورة إيران في العالم العربي إبان الثورات العربية 220

(5-11): الموقف العربي السلبي من إيران (2012-2018) 221

(5-12): الدور الإيراني في سورية 222

(5-13): هل تشكِّل السياسات الإيرانية تهديدًا للأمن
والاستقرار الإقليميين العربيين؟ 223

(5-14): مواقف السياسة الخارجية الإيرانية
من فلسطين وسورية واليمن 224

(5-15): تَصوُّر قَطر للتهديد الأكبر الذي يواجهها 225

مقدمة المؤلف للطبعة العربية

دخلت النسخة الإنكليزية من الكتاب مرحلة الطباعة، وتفاعلاتُ العلاقات العربية–الإيرانية مستمرة في تشكيل المشهد السياسي في منطقة الشرق الأوسط، ولا يبدو أنها ستؤدي إلى تشكيله في الأمد القريب فحسب، بل في المستقبل أيضًا؛ فالعلاقات التي امتدت من سنوات طويلة عصفت بها تغيّرات العالم المتسارعة، حيث دفعتها إلى فصول جديدة عنوانها الأصلي عدم اليقين.

يركّز هذا الكتاب في نسخته الإنكليزية، كما هو واضح من العنوان، على تحوّلات العلاقات العربية–الإيرانية منذ الانتفاضات العربية التي بدأت في أواخر عام 2010. وقد حرصنا على تقديم مستويات من التحليل لهذه العلاقات التي يختلط فيها التاريخي والسياسي والديني والجغرافي عبر مساحات زمنية مختلفة. وقد توقَّف الكتاب زمنيًّا مع بدايات عام 2023، حين دخل مرحلة التحكيم والمراجعات والإنتاج، الأمر الذي يجعلني أتوقف في هذه المقدمة المخصَّصة للترجمة العربية عند بعض القضايا التي تستدعي التوضيح.

شهدت السنوات بين صدور النسخة الإنكليزية من الكتاب والنسخة العربية جملة من التطورات المهمة، في مقدمها تحسُّن العلاقات السعودية–الإيرانية عبر وساطة صينية انتهت بعودة الدفء إلى هذه العلاقات في صيف 2023، الأمر الذي ترك أثره في الملفَّين اليمني واللبناني، إذ يَحضُر البَلدان في أدوار بقيت مثار نقاش إقليميًّا ودوليًّا دائمًا. هذا التطور ترك أثرًا إيجابيًّا في الأجواء الإقليمية، ولا سيما أنه جاء بعد عودة سورية، التي كانت ملفًّا آخر مهمًّا بين البلدين، إلى مقعدها في الجامعة العربية في أيار/ مايو 2023. ومع تحسُّن أجواء

علاقات إيران بدول عربية فاعلة مثل المملكة العربية السعودية وبالتدرج بمصر، تحركت المنطقة إلى مستوى من التهدئة السياسية والعمل على إيجاد بيئة من التعاون الإقليمي. وقد أدت الإدارة الأميركية الديمقراطية آنذاك دورًا في التقليل من شيطنة إيران في المنطقة، ولا سيما أن واشنطن كانت راغبة في دفع التعاون الإقليمي أكثر مع تراجع دورها المباشر.

لم يكن عام 2023 عامًا عاديًّا في تاريخ العلاقات العربية-الإيرانية. ففي ربعه الأخير، تحديدًا في 7 تشرين الأول/ أكتوبر، وقع حدثٌ ترتّبت عنه جملة من الأحداث التي لا تزال تتفاعل حتى بعد نشر هذه الترجمة العربية. في ذلك التاريخ تَلقّت إسرائيل هجومًا من المقاومة الفلسطينية في غزة، وفي مقدمها حركة المقاومة الإسلامية (حماس) على ما يُعرف بمستوطنات غلاف غزة، وقد انتهت تلك الهجمات بأسر نحو 250 إسرائيليًّا، ومقتل نحو 1800، وذلك خلال الحرب التي شنّتها إسرائيل على غزة بعد تلك الهجمات. وعلى الرغم من أن تلك الأحداث كانت تبدو في دائرة الصراع الإسرائيلي-الفلسطيني، لكن إسرائيل بقيادة الحكومة اليمينية التي يقودها بنيامين نتنياهو قدّمت سردية مختلفة تمامًا، إذ رأت أن تلك الهجمات هي أحداث 11 أيلول/ سبتمبر الإسرائيلية في إشارة إلى الأحداث الأميركية التي وقعت في عام 2001. لم تقف إسرائيل عند هذا الحد، بل رأت أن حربها ليست على الفلسطينيين في غزة، بل على ما تسميه محور إيران الذي يضم حماس، وحزب الله، وأنصار الله الحوثيين في اليمن، وسورية بشار الأسد. وتحت ظلال هذه السردية روّجت إسرائيل هجماتها العسكرية التي طاولت كلًّا من سورية، وحزب الله في لبنان، والذي تمكنت من تصفية الصف الأول من قيادته السياسية والعسكرية، واحتلت خمس مناطق في الجنوب اللبناني، وترفض الانسحاب منها إلى حين تحقيق نزع سلاح حزب الله. وامتدت المواجهة إلى إيران، فقد هاجمت إسرائيل في 1 نيسان/ أبريل 2024 القنصلية الإيرانية في دمشق، وتبع ذلك هجمات إيرانية على إسرائيل في 13 نيسان/ أبريل 2024 أطلقت إيران عليها تسمية "الوعد الصادق 1"، ثم ردٌّ إسرائيليٌّ في تشرين الأول/ أكتوبر 2024. وبين نيسان/ أبريل وتشرين الأول/ أكتوبر 2024، تمكّنت إسرائيل من اغتيال إسماعيل هنية رئيس المكتب السياسي لحركة حماس

في العاصمة الإيرانية طهران، كما تمكنت من اغتيال الأمين العام لحزب الله حسن نصر الله.

لم تقف الأمور عند هذ الحد، بل بدأت إسرائيل في حزيران/ يونيو 2025 حربًا على إيران تحت ذريعة التهديد النووي، واتخذت دليلًا على ذلك تقريرَ "الوكالة الدولية للطاقة الذرية" الصادر في أيار/ مايو 2025 الذي تَحدَّث عن أنشطة غير معروفة لتخصيب اليورانيوم بنسبة 60 في المئة، الأمر الذي يزيد كميات اليورانيوم الذي يمكن استعماله لأغراض عسكرية. وهذه الهجمات الإسرائيلية التي أُطلقت عليها تسمية "الأسد الصاعد"، والتي نالت من منشآت نووية مثل منشآت بارشين، لم تكن في الحقيقة إلا بدايةَ فصلٍ جديد من التصعيد تدخلت بموجبه الولايات المتحدة الأميركية، وهاجمت ثلاث منشآت إيرانية هي نطنز، وفوردو، وأصفهان.

لقد تَسبّب التدخل الأميركي في أن تأخذ المواجهة التي بدأتها إسرائيل ضد إيران منحى إقليميًّا، فقد هاجمت إيران في 23 حزيران/ يونيو 2025 قاعدة العُديد العسكرية الموجودة ضمن السيادة القطرية في سابقة لم تحدث، مبرِّرة ذلك بأنه ردٌّ على الولايات المتحدة الأميركية. أظهرت تلك الهجمات الإيرانية مستوى التوتر الإقليمي وهشاشة الوضع الأمني في الشرق الأوسط. وأدخلت علاقات إيران في مرحلة من عدم اليقين مع قطر التي كانت تسعى دائمًا للمحافظة على علاقات مستقرة مع طهران.

كل هذه التطورات كانت تعصف بالأمن والاستقرار الإقليميين للشرق الأوسط، كما أن هذه المواجهة العسكرية التي تحدُث، أول مرة، في سياق التوتر بين إسرائيل وإيران منذ مطلع ثمانينيات القرن العشرين، تزيد فصلًا مهمًّا من التوتر في سياق العلاقات العربية–الإيرانية، إذ إن تلك التطورات كانت تتحدث حديثًا لا لبس فيه عن روابط في طريقها إلى الانهيار أو ربما انهارت، وعن تحالفات جديدة آخذة في التشكل.

أدخل الزلزال السياسي الذي تبع أحداث 7 تشرين الأول/ أكتوبر 2023 تحوّلات جديدة إلى مشهد العلاقات العربية–الإيرانية، ولعل أهم هذه التحوّلات

هو تراجع ما كان يسمى بالنفوذ الإيراني؛ هذا النفوذ الذي كان يُتحدث في سياقه عن سيطرة إيرانية على أربع عواصم عربية، هي بيروت ودمشق وبغداد وصنعاء، تراجع تراجعًا متسارعًا في عام بعد أحداث 7 تشرين الأول/ أكتوبر 2023، ليؤكد حقيقة قوية هي أن ذلك النفوذ لم يكن صنيعة إيران وقوَّتها بقدر ما كان استثمارًا إيرانيًّا في إخفاقات سياسية إقليمية لم يعالجها الفاعلون العرب، أو أنهم استسلموا للأدوار الخارجية التي كانت في الأغلب تقدِّم مصالحها على مصالح الفاعلين الإقليميين. إن ما استُعرض في النسخة الإنكليزية للكتاب من نفوذٍ ومواقفَ إيرانيةٍ بشأن تحوّلات الانتفاضات العربية التي بدأت في عام 2010 وما سبقها، تصبح جزءًا من تاريخ العلاقات العربية–الإيرانية وتفاعلاته، لتحلَّ في مكانها ديناميات مختلفة تكاد تكون معادية لإيران بمستويات مختلفة.

يمكن متابعة للتحوّلات الجديدة التي جاءت بعد 7 تشرين الأول/ أكتوبر، الحديثُ بوضوح عن إخفاقِ نظرية الأمن القومي الإيراني التي بدأت من نهاية ثمانينيات القرن العشرين، والتي اعتمدت على مواجهة الأخطار خارج الحدود، وعلى مسافات بعيدة. لقد تحوّل المشهد، لتحط الأخطار في داخل الحدود الإيرانية، متمثلة في اغتيال زعماء بارزين في تحالفاتها مثل إسماعيل هنية، انتقالًا إلى هجمات إسرائيلية على العمق الإيراني واغتيال الصف الأول من القادة العسكريين، وصولًا إلى الهجمات الأميركية على المفاعلات النووية الإيرانية في فوردو ونطنز وأصفهان؛ الأمر الذي جعل المنظومة السياسية الإيرانية تواجه أسئلة قوية عن كل هذه الإخفاقات في السياسة الخارجية وعدم قدرة النظام على وقف الانهيار المتسارع لشبكة تحالفاتها. إنها أسئلة تظل بلا إجابات شافية حتى صدور هذا الكتاب.

ما هو جليٌّ وواضح أن إيران تكره التحوّلات المفاجئة التي كانت تختبر حضورها السياسي في المحيط العربي، وربما كان الحدَثان البارزان في هذا السياق هما الانتفاضات العربية وانتشارها السريع، حتى وصلت إلى دول متحالفة مع إيران، بينما كانت أحداث 7 تشرين الأول/ أكتوبر وما تبعها هي التطور الثاني. لقد أحدثت هذه التطورات صدمة من العيار الثقيل على مؤسسات السياسة الخارجية الإيرانية، وأحدثت ارتباكات في علاقاتها بالعالم العربي.

ففي وقت خسرت فيه إيران تحالفها مع سورية بعد إسقاط نظام بشار الأسد في 8 كانون الأول/ ديسمبر 2024، تَراجع نفوذها في لبنان إلى أدنى مستوى له، وأصبحت غير قادرة على توفير أي إمداد لحزب الله، حتى الدعم السياسي. أما في العراق، فإن المشهد يجعلنا نتحدث عن تراجع، لكن تقييمه قد يكون أدقَّ بعد الانتخابات البرلمانية العراقية في 11 تشرين الثاني/ نوفمبر 2025.

لقد أربكت الانتفاضات العربية مشهد العلاقات العربية–الإيرانية، وأدخلت إيران في اختبارات عسيرة ربما مهّدت لحالة التراجع المتسارع الذي شهده ما يسمى النفوذ الإيراني. تلك الارتباكات كانت ضاغطة سياسيًّا واقتصاديًّا على إيران نظرًا إلى حالة المواجهة التي تعيشها إيران في علاقاتها بالمجتمع الدولي بسبب برنامجها النووي، وبسبب سياستها الخارجية في الشرق الأوسط؛ تلك الارتباكات جعلت إيران مُستنزَفة سياسيًّا وعسكريًّا، ولا سيما في التدخل في سورية.

أدى الاستنزاف السياسي والعسكري لإيران في ظل مشهد الانتفاضات العربية دورًا في إضعافها أمام المواجهات الحقيقية المقبلة، ولا سيما ضد إسرائيل، التي جاءت بعد أحداث 7 تشرين الأول/ أكتوبر 2023، حيث ظهر ذلك جليًّا في الهجمات الإسرائيلية على المصالح السياسية والعسكرية الإيرانية في سورية، مرورًا بقصف القنصلية الإيرانية في نيسان/ أبريل 2024، وصولًا إلى حرب الاثني عشر يومًا بين إسرائيل وإيران. من هنا ليس مستغرَبًا أن تصف المؤسسة السياسية والأمنية الإيرانية حرب إسرائيل عليها بأنها أحداث أيلول/ سبتمبر الإيرانية لما أحدثته من زلزال في نظرية الأمن والردع الإيرانية. هذا الزلزال وضع بصمته على مسار مستقبل تطور العلاقات العربية–الإيرانية، الأمر الذي يجعل أحداث 7 تشرين الأول/ أكتوبر بداية حقبة جديدة في مشهد تلك العلاقات في القرن الحادي والعشرين.

لقد كان من أهم تبعات السابع من تشرين الأول/ أكتوبر 2023، الحرب الإسرائيلية على إيران، والتي سرعان ما تحوّلت إلى حرب أميركية إسرائيلية؛ تلك الحرب التي بدأت في حزيران/ يونيو 2025 بما سُمي حرب الاثني عشر يومًا، لكنها عادت بشكل أشد من جانب إسرائيل وأميركا في حرب الأربعين يومًا، التي بدأت في 28 شباط/ فبراير 2026؛ تلك الحرب التي لم تضع أوزارها

حتى كتابة هذه المقدمة، وهي تدفع بتبعات وخيمة على الأمن الاقليمي، فضلًا عن أنها تهديد جديٌّ لأمن الطاقة وسلاسل الإمداد في العالم. وقد قادت هذه الحرب إلى اعتداء إيران عسكريًّا على سيادة دول عربية خليجية، مثل السعودية وقطر والإمارات العربية المتحدة والبحرين والكويت، إضافة إلى الأردن والعراق بذريعة ضرب المصالح والقواعد الأميركية؛ هذه الهجمات أضافت مزيدًا من النُّدُب السياسية وعوامل الاختلاف، بل ربما القطيعة إلى مشهد العلاقات العربية-الإيرانية؛ نُدُب وعوامل اختلاف ستبقى تناقش أجيالًا، وتشكّل عامل استقطاب حتى داخل المجتمعات العربية. وبالتأكيد ستكون موضوع كتاب جديد عن العلاقات العربية-الإيرانية.

محجوب الزويري
18 أيلول/ سبتمبر 2026

مقدمة الطبعة الإنكليزية

إن حقل دراسة العلاقات العربية–الإيرانية حقل ناشئ في مجال دراسات الشرق الأوسط، تمامًا كدراسات الخليج. ويُعَدّ، على حداثته، أحد أهم الحقول المعرفية المنضوية إلى لواء الدراسات الإقليمية. وقد تَطوّر هذا الحقل في التاريخ الحديث، ولا سيما بعد خمسينيات القرن الماضي، تزامنًا مع بروز مفهوم الدولة القومية، ولا تزال ملامحه ترتسم رويدًا رويدًا، تماشيًا مع التغيرات السياسية والاقتصادية والاجتماعية المتواصلة التي تشهدها المنطقة.

ويقتضي فهم العلاقات العربية–الإيرانية وسبر أغوار خصوصياتها الفريدة فهمًا دقيقًا وتأملًا في مختلف الأبعاد الجيوسياسية والجيوتاريخية والجيوثقافية، كما أن أي مقاربة متعددة التخصصات تضطلع بتحليل العلاقات المعقدة بين المنطقتين سيوجب عليها، لا محالةَ، إدماج موضوعاتها ضمن حقول معرفية أخرى مثل العلاقات الدولية، والتاريخ، والعلوم السياسية، وعلم الاجتماع. لقد ارتبط العامل الديني بالجغرافي ارتباطًا وثيقًا على مر السنين، وقد تأثر التاريخ دومًا بالتصورات التي كوّنتها كل أمة عن نظيرتها وبتحليلها النفسي لها، ويظهر من هذا الارتباط كيف أن الذاكرة الجمعية لكل أمّة تساهم في تشكيل الوعي الذاتي لدى الأخرى، ما يؤثِّر في أسلوب التفاعل بينهما، ويفضي إلى الاضطراب في علاقاتهما.

أما في العصر الحديث، فيتضح موقف العالم العربي تجاه إيران في سياق الخلاف في شأن مفهوم الأمن القومي وفي طبيعة التحالفات الخارجية الإقليمية التي يكوِّنها الطرفان؛ إذ يعكس هذا الخلاف التوتر الذي شابَ علاقتهما دائمًا،

واشتعلت فتائلُه في أزمات مختلفة منذ عهد الشاه حتى قيام الجمهورية الإسلامية وما بعدها. هكذا، يمكننا فهم التفاوت في علاقات البلدان العربية بإيران، بين تلك التي تجمعها بالجمهورية الإسلامية علاقات طبيعية وتواصُل مستمر، وتلك التي تربطها بإيران علاقة متوترة قلقة.

وكما شكّلت الأحداث التاريخية والتطورات التي طرأت خلال السنين الماضية رؤية كل أمة للأخرى، فإن التغيرات السياسية الراهنة ستنحتُ هي كذلك بمطرقتها، منظور الأجيال القادمة ورؤية كل منهما إلى الآخر. وسيصبح السياق السياسي الحالي وتبعاته، لا محالة، تاريخًا يرسم مسار هذه الأجيال، وسيظل السؤال الذي ندور حوله: كيف ترى هاتان الأمتان مستقبل التفاعل بين أجيالهما القادمة؟

محجوب الزويري
الدوحة
30 تشرين الأول/ أكتوبر 2022

مقدمة

يدعو هذا الكتاب القارئ إلى التركيز على عنصرين رئيسين، أولهما علاقة بلاد فارس ببلاد العرب، وثانيهما وأهمهما يتمثل في الجوانب المسكوت عنها لهذه العلاقة الفريدة. سيقدِّم هذا الكتاب الاستعمال التقليدي لمفهوم "العلاقات" وسيتجاوزه. ولأنه سيضطلع بكشف ما لا يعلَن عنه عادة، ستركِّز المقدمة على معنى "المسكوت عنه".

إن تحليلنا لذلك "المسكوت عنه في العلاقات" سيحاول أن يبتعد عن التحليل التقليدي للعلاقة التي تربط إيران بالدول العربية؛ إذ حينما يتطرق الحديث إلى هاتين المنطقتين الجغرافيتين، يُتحدث عادة عن علاقة بعضهما ببعض. ويعود ذلك إلى الديناميات المتغيّرة التي ما فتئت تربط بلاد الفرس بالعرب. ولهذا فإن الحديث عادة ما يحصر هذه العلاقة في التطورات السياسية والاقتصادية. من هنا تنبع أهمية التعبير الذي نستخدمه، أي "المسكوت عنه"، حيث يقدِّم هذا الكتاب تحليلًا يعود إلى جذور هذا العلاقة الفريدة من نوعها بين العرب وإيران، بدلًا من التعمق في ما سبق أن تناولته الأوساط الأكاديمية بالبحث. سيضطلع هذا العمل بتحليل عددٍ من العناصر وعرضها في السياق المعاصر والنقاش الدائر. وتشمل هذه العناصر، على سبيل المثال لا الحصر، علاقة الحكومات العربية المختلفة بالحكومة الإيرانية والعوامل التي أدت إلى تطورها. وثانيًا سيتناول البحث علاقة الجمهور العربي بنظيره الإيراني عبر إظهار مدى تأثير الحكومات في تصورات الجماهير.

تُصنَّف علاقة الأمة الإيرانية بالعرب، كما ذكرنا سابقًا، بوصفها سياسية و/أو أيديولوجية، تحددها الأحداث والوقائع السياسية وردّات الفعل.

وعلى الرغم من أن هذه العلاقة في حقيقتها، ومن الناحية التاريخية، رابطة جيوسياسية وتبادلٌ ثقافي وتاريخي ثري وتدفُّق بشري طال أمدُها معًا، فإن جوانبها تغيّرت بمرور الوقت بسبب التصورات التي فرضها حكام الدول المعنية على الشعوب، وردّات فعل هذه الدول تجاه التطورات السياسية والوطنية.

أخيرًا يتناول هذا الكتاب العلاقة العربية-الإيرانية حتى فترة الانتفاضات العربية وما تلاها، وهي الفترة التي يجدر تسليط الضوء عليها لأهميتها في العلاقة بين المنطقتين. يمكننا القول إن هذه الانتفاضات حدثت نتيجة فراغات متعددة في الأنظمة السياسية العربية، وهي فراغات دفعت الشعوب إلى الخروج على الوضع الراهن في بلدانها والدعوة إلى الديمقراطية وتحسين الاقتصاد وتحسين مستوى المعيشة تحسينًا عامًّا. بيد أن الأمر يبدو، من الناحية النظرية، أنه خطوة إلى الأمام للنظام السياسي العربي وللشارع العربي، فعلى الرغم من أن تلك الثورات ربما أتت من فراغات سياسية واقتصادية، فإنها خلّفت وراءها فراغًا هائلًا في مختلف البلاد العربية.

سيكولوجية العلاقة العربية-الإيرانية

نادرًا ما نفحص ديناميات العلاقات المضطربة بين الدول من خلال النظر إلى شعوبها لا إلى حكوماتها، ومع ذلك، فسندرس علاقة العرب بإيران عبر نهج تصاعدي وذلك كجزء من "المسكوت عنه". فالعلاقات الثنائية بين البلدان تأثيرها كبير في نظرة الشعوب بعضها إلى بعض، وفي مدى تعقُّد الصلة بين شعوب المنطقتين أو دولها. ومن خلال دراستي ديناميات علاقة إيران بالدول العربية اتضح جليًّا أن الذاكرة التاريخية للأحداث والدور الذي يؤديه الخوف المرتبط بها هما عاملان رئيسان في صياغة آراء العرب تجاه الإيرانيين، والعكس صحيح.

وعلى الرغم من تعدُّد العوامل التي أدت إلى اضطراب علاقات الحكومات العربية المختلفة بالحكومة الإيرانية وصِلات شعوب المنطقة العربية بالشعب الإيراني، وهي عوامل مثل تقلّب العلاقات وتضارب المصالح وتعارض التحالفات، يمكننا القول بأن الدور العربي المركزي والتاريخي في إدخال الإسلام إلى إيران والتهديد الإيراني المعاصر باختراق العالم العربي هما عاملا الخوف

الرئيسان في هذه المعادلة، حيث يشكِّل هذان العاملان المكوِّنات الأساسية التي يبني عليها هذان الشعبان تصوّر أحدهما عن الآخر، فضلًا عن مشاعرهما؛ ما قد يفسّر بعضَ الشيء النفسية العامة للعلاقة التي تربط المنطقتين.

لقد كان دخول الإسلام على يد العرب إلى إيران لحظة تاريخية لا يمكن الإيرانيين درؤها؛ إذ قاد إلى حدوث تغيّر كبير في الهوية الفارسية، ومهما حاولوا استعادتها، فقد أخفقوا. لقد غيّر العرب عنصرين أساسيين في هوية بلاد فارس: الكتابة والدين؛ تغيرُّان لا يمكن محوهما أو الالتفاف عليهما. فقد حاول بعض الحكام مثل البهلويين[1] في عام 1921 إعادة استخدام الخط البهلوي الأصلي، لكنهم فشلوا في ذلك. هكذا، ارتبط الخط الفارسي الحديث ارتباطًا وثيقًا بالعرب، كأنه في حضوره تذكيرٌ مستمر بلحظة تغلغُل نفوذ العرب الديني والثقافي والسياسي.

أما عن مشاعر العرب تجاه الإيرانيين، فإن التنافس الشيعي–السُّني هو العامل الأكثر تأثيرًا في هذه العلاقة. فلعقودٍ اتسمت علاقة الإيرانيين بالدول العربية بالتوتر، ولا سيما حينما يأتي الأمر إلى دول مثل المملكة العربية السعودية. كما يتردد أن إيران تموِّل الطائفة الشيعية في دول عربية متعددة، كالعراق والبحرين ولبنان واليمن. وعلى الرغم من أن ذاك الدعم قد يكون له، من الناحية النظرية، دورٌ في تغيير الديناميات السياسية للمنطقة العربية، فإن كتابنا هذا سيُظهِر أن هناك مبالغة مفرطة في مثل تلك الادعاءات التي لا تدعمها دلائل ملموسة.

إن ما يجعل، أو ما جعل بالفعل، هاتين الأمتين عرضة لديناميات متبدلة متغيرة هو سهولة تدخّل الجهات الخارجية بينهما لتحريض شعوبهما بعضهما على بعض، وهي جهاتٌ مثل الدول المجاورة أو الدول الغربية ذات التأثير الأشد في ديناميات المنطقة.

هناك عوامل عدة قد تؤثّر في العلاقة التي تجمع الدول المتجاورة، لكن تلك العوامل التي تُبرز أوجه التشابه بين البلدان، بدلًا من أوجه الاختلاف، قد خرجت

(1) تأسست الدولة البهلوية في عام 1925 في إثر الانقلاب الذي قاده رضا بهلوي ضد أحمد مرزا آخر شاهات الدولة القاجارية، وظلت السلالة البهلوية تحكم البلاد حتى سقوطها في عام 1979. (المترجمة)

إلى النور مع ظهور فكرة الدولة القومية الحديثة. يشير تعريف الدولة الحديثة، عادة، إلى بلد ذي حدودٍ جغرافية محدَّدة ونظام سياسي موحَّد، أو ما يُعرف عادة بالسلطة والحكم المركزيين، ومؤسساتٍ سياسية منظمة وعاملة. وكي تبسط الدولة الحديثة سلطتها فإنها بحاجة إلى الحفاظ على سيادتها وهويتها، وهو الأمر الذي يتحقق من خلال إنشاء نظام سياسي وتعميم ثقافة واحدة وتاريخ واحد وهوية جامعة. إن هذه الهوية الحصرية الجامعة هي العامل الذي يجعل الشعوب ترى نفسها وحدة مستقلة ومختلفة عن شعوب تُجاورها. وبهذا دفعت العديد من الدول إلى التركيز على ما يفرّقها عن جيرانها، بدلًا من إبراز أوجه تشابهها بدول المحيط.

أما في ما يتعلق بعلاقة العرب بإيران، فإن هناك مجموعة من العوامل التي خلقت اختلافات جذرية وعميقة بين المنطقتين، اختلافات تمثلت في [المذهب] الدين[ي] واللغة والثقافة وغير ذلك. وكخطوة على طريق ممارسة السلطة سعت الأمم لمدّ أذرع سلطتها وبسط أجزاء من هويتها على دول المحيط، وقد ساهم انتشار الحضارات من منطقة إلى أخرى في تمكين الدول من بسط نفوذها على الآخرين وتوسيعه. نجد في التاريخ حالات تمكنت فيها الدول القومية من العودة إلى هويتها الأصلية، بعد أن سقطت تحت هيمنة الغزاة، كما نجد حالات أخرى قاومت فيها الشعوب مقاومة شديدة، كي تحدّ من تأثير الغزاة فيها، متمسكة بهويتها الوطنية الأصلية. بيد أن التفاعل العربي–الإيراني شكَّل حالة مميَّزة؛ إذ تَمكّن الإيرانيون إلى درجة ما من الحد من تأثير الغزو العربي في بلادهم، لكنهم في الوقت ذاته لم يستطيعوا أن ينفضوا عنهم تمامًا تأثير العرب، أو أن يعيدوا هويتهم إلى ما كانت عليه قبل وصول العرب إلى ديارهم.

بذور العلاقة التاريخية بين العرب وإيران

إن العلاقة بين العرب والإيرانيين في التاريخ المعاصر ظلت، كما رأينا، حاضرة ومرتبطة ارتباطًا وثيقًا بعاملين أساسيين، أولهما هو الصراع السُّني–الشيعي، وثانيهما هو ما يروى عن سعي إيران لبسط نفوذها السياسي على جزيرة العرب المعاصرة. بيد أن هذا التوصيف لا يخلو من تبسيطٍ مخلٍّ لطبيعة العلاقة بين

المنطقتين؛ تبسيطٌ يتجلى في التركيز المفرِط على البُعد الطائفي نظرًا إلى مدى التأثير الفعلي لإيران في الدول العربية ومستوى تأثيرها في بعض الحكومات أو الشعوب في دول مثل سورية ولبنان واليمن والبحرين. ومع ذلك فمن المحال إنكار أن العلاقة التاريخية بين الإقليمين قد شاركت بقوة في تكوين الصور المرسومة سلفًا والمشاعر المتبادَلة التي يكنّها العرب لإيران، ويكنّها الإيرانيون للعرب.

لقد رسمت ثلاث محطات كبرى أبعاد هذه العلاقة، وامتد تأثيرها طاغيًا على تفاعلات الحاضر، وهي: (أ) الفتح العربي لبلاد فارس؛ (ب) تغيُّر الحرف في عهد الدولة السامانية؛ (ج) تشيّع إيران. لقد زرعت هذه المحطات البذور الأولى التي صاغت ملامح علاقة العرب مع الإيرانيين سنوات عدة وامتدت حتى لحظتنا هذه، فضلًا عن أثرها في تكوين المشاعر الإيرانية ونظرة الشعب إلى العرب.

وصل المسلمون إلى إيران عندما كانت الدولة العربية الإسلامية في لحظة تمدُّد وقوة، تقابلها مرحلة من الضعف والإنهاك في الدولة الساسانية. فقد دخل العرب في صدام ضد الإمبراطورية الساسانية[2] خلال مرحلة من الحروب الطويلة التي كان الساسانيون يخوضونها ضد البيزنطيين؛ ما أرهق الساسانيين وأضعف مناعتهم. لذا لم يكن من الغريب أن تجد الجيوش العربية نفسها تصل إلى بلاد فارس من دون مقاومة تُذكر، متمكنة بسهولة نسبية من السيطرة على هذه المنطقة من العالم.

كان من الحتمي، بعد سقوط الدولة الساسانية، أن يسعى الخلفاء المسلمون، وفي مقدمهم الأمويون، لترسيخ العقيدة الإسلامية في البلاد التي فتحوها. ونظرًا إلى تعدد المكوِّنات الدينية والعرقية في الإمبراطورية الساسانية، كحضورٍ كبيرٍ للمسيحيين واليهود الإيرانيين، فقد كان اعتناق هؤلاء الإسلام يسيرًا، لأنهم يعتنقون أصلًا ديانات إبراهيمية، ويُعَدّون من "أهل الكتاب". أما الزرادشتيون،

(2) الإمبراطورية الساسانية هي آخر إمبراطورية فارسية سيعرفها العالم، وقد امتد حكمها قرابة أربعة قرون. أسسها الشاهنشاه أزدشير الموحِّد في عام 224 الميلادي، ثم سقطت في يد الفاتحين العرب في عام 651 الميلادي. (المترجمة)

وهم أصحاب ديانة فارسية قديمة شكَّلوا الأغلبية السكانية آنذاك، فقد كانوا أبطأ في اعتناق الإسلام، بيد أنهم في نهاية المطاف دخلوا الإسلام طوعًا، حتى غدا الإسلام غالبًا في بلاد فارس.

أما الانتقال من الحرف البهلوي إلى الحرف العربي، فقد كان في صلبه انتقالًا حتميًّا واستراتيجيًّا في آنٍ، وارتبط بجهود الدولة السامانية بعد قرنين ونصف القرن من الفتح العربي في توطيد شرعيتها وتعزيز حضورها القومي؛ إذ رأى السامانيون في اعتماد الحرف العربي، لغة القرآن والإسلام، وسيلة لإضفاء الشرعية على حكمهم، فدمجوه في اللغة المحلية.

وقد أعقب هذا التحوّل تحوّل ثقافي لا مفر منه؛ إذ إن ثقافة الدولة تتأثر تأثرًا عميقًا باللغة والمعارف التي تُنتَج بها. وبناء عليه، فقد تحوّلت الثقافة الإيرانية بمرور الوقت عن أنماطها القديمة، وفقدت الحروف التي كانت تُستعمل سابقًا أهميتها في الحياة الفكرية، لتصبح اللغة العربية وعاءً أساسيًّا لإنتاج المعرفة في ما بعد. بيد أن هذا التحوّل لم يرحِّب به كل الإيرانيين. ولهذا، سعت الدولة، مع بداية عشرينيات القرن العشرين وظهور البهلويين، لإحياء الحرف الإيراني القديم، لكن هذه المحاولة باءت بالفشل؛ إذ حال الفاصل الزمني الذي تجاوز عشرة قرون بين اعتماد الحرف العربي ومحاولة العودة إلى الخط الفارسي القديم.

لقد وقع تغيُّر آخر في المشهد الديني والمذهبي لبلاد فارس، علاوة على التغيّر اللغوي الذي حدث. كان اعتناق الإيرانيين المذهب الشيعي في القرن السادس عشر الميلادي، بدلًا من المذهب السُّني عاملًا آخر مثيرًا للجدل ومؤثِّرًا في علاقة العرب بالإيرانيين. فقبل حكم الصفويين كان الشيعة أقلية، وكانت إيران سُنّية مثلها مثل جاراتها العرب في السلطنة العثمانية، إلا أن الصفويين كانوا سلالة شيعية متمايزة، تتفوق على الطوائف الشيعية الأخرى، مثل الطائفة الزيدية أو الإسماعيلية وكانت تتبع المذهب الاثني عشري.

لقد استغرق التحوّل إلى الطريقة الصفوية نحو مئة عام، استقدموا خلالها علماء شيعة من منطقة "جبل عامل" في لبنان، ومن شرق شبه الجزيرة العربية،

ومن البحرين. أنتج هؤلاء العلماء معرفة عن الطائفة الشيعية، وتحوّلت إيران رويدًا رويدًا، بخطى بطيئة وراسخة، إلى المذهب الشيعي. هكذا مثَّل اعتناق إيران المذهب الشيعي على أيدي الصفويين أول بذور التنافس السُّني-الشيعي الذي نعيشه اليوم.

إن الإجابة عن سؤال العلاقة التاريخية المثيرة للجدل بين إيران والعرب تتمحور حول ثلاثة أعمدة: غزو العرب بلاد فارس، وتغيير الحرف المستخدَم في الكتابة، وأخيرًا تغيير المذهب. يتساءل كثيرون عن جذور التاريخ الذي يربط المنطقتين، وعن الأحداث التاريخية التي كشفتا عنها، وهو أمرٌ لا محالةَ بالغ الأهمية في فهم التنافس المعاصر بين العرب وإيران. يأتي الرد على هذا التساؤل في محاولة إيران العودة إلى ما كانت عليه قبل وصول العرب إلى أراضيها، ثم في فشلها بذلك. فقد حاولت الدولة البهلوية، تحت لواء محمد رضا بهلوي، اعتماد العلمانية في البلاد لفصلها عن الدين، وبذلك فصلها عن التشيّع، لكن التراث الشيعي كان ضاربًا جذوره في البلاد حتى استحال معه تطبيق العلمانية. كما حاولت الدولة البهلوية أيضًا العودة إلى اللغة الإيرانية القديمة، فباءت محاولتها بإخفاق ذريع.

يصعب فصل الإيرانيين عن العرب والسياسة العربية، فضلًا عن صلة إيران القوية بالدين؛ إذ قدّمت إيران نفسها عبر الخطابات السياسية والدينية باعتبارها "أم القرى"، وخصوصًا في السياق الديني كونها محورًا روحيًّا. ولأنها ترى في نفسها أهمية محورية دينية للإسلام، فقد كان من المؤكَّد أن تدخل في صراع ضد المسلمين العرب ممن يرون في المملكة العربية السعودية الأمر ذاته. أما على الصعيد السياسي، فإن إيران تقدِّم نفسها دولة ثورية تضع القضية الفلسطينية نصب عينيها. وبناء عليه، قدّمت نفسها دائمًا داعمًا للمسلمين وللأقليات. ومع اندلاع الانتفاضات العربية في أواخر عام 2010، سارعت إيران إلى التعبير عن رأيها في الثورات العربية بصوت حازم صارخ، ما عمَّق الصراع بينها وبين جيرانها العرب.

يصبو هذا الكتاب إلى أخذ القارئ في رحلة شاملة لفهم ديناميات علاقة العرب بالإيرانيين، وما لحق بها من تغيّرات وتطورات. وسيحاول الذهاب إلى

ما هو أبعد، مستكشفًا آثار هذه العلاقة التاريخية المعقّدة في الحكام العرب كما الإيرانيين، وفي الرأي العام العربي كما الإيراني[3].

يتبع الفصل الأول المعنى الحَرفي لعنوانه، وهو أهمية دراسة العلاقة غير العادية بين العرب والإيرانيين وفهمها، بغض النظر عن التعميمات المنتشرة، كما يحاول تقديم زوايا مهمة للتحليل. يحلل هذا الفصل المشاكل التاريخية والسياسية الحالية التي ولّدتها هذه العلاقة، وفي الوقت ذاته يرسي أسسًا صلبة لأساليب تحليلٍ وتحقّقٍ مستقبلية. ويُعَد أهم عنصرٍ يحقق فيه هذا الفصل هو العلاقة العربية–الإيرانية خلال فترة من الزمن تمتد من بواكير العصر الإسلامي حتى العصر الحديث. وعبر هذا الإطار الزمني سيتناول الفصل بالتحليل مفاهيم أساسية كصعود الطائفية والثورة الإيرانية لعام 1979 والأسباب الرئيسة وراء تزايد شعبية النقاش الدائر بشأن ديناميات علاقة العرب بالفرس.

إن هذا الفصل، فضلًا عن كل ذلك، سيتناول بالتحليل من كثب أساليب تأثير كل منطقة في هوية الأخرى وفي خطابها السياسي، علاوة على دور كلٍّ من إيران والبلدان العربية في تطبيق الإسلام السياسي.

سيركن الفصل الأول في تحليله، عبر ثنايا تلك الدراسة، إلى دراسات حالة حيوية من شأنها أن تدعم فرضيته، مثل الصراع العربي–الإسرائيلي ودعم إيران لتيارات سياسية مثل حركة المقاومة الإسلامية (حماس). كما سيتطرق الفصل إلى دور الولايات المتحدة في المنطقة وطبيعة علاقتها بإيران وتأثير السياسة الخارجية الأميركية في كلٍّ من العرب وإيران.

أخيرًا، ينقسم الفصل الأول ثلاثة مباحث، يغطي أولها الفترة الزمنية بين عامي 1980 و1990، ومنها الحرب بين إيران والعراق ورؤية المنطقة لها. أما ثانيها، فيتناول فترة ما بين عامي 1991 و2002 التي تُعَدّ ذروة العلاقة أو

(3) لقد كُتب هذا العمل سنوات قبل الحرب على غزة التي اندلعت إبان عملية طوفان الأقصى في 7 تشرين الأول/ أكتوبر 2023. وبناء عليه، فإن على القارئ أخذ هذا في الاعتبار؛ إذ لا شك في أن الرأي العام ليس بمنتَج جامدٍ، وإنما يتغير ويتبدل بحسب السياق والموقف، كما تغيرت المواقف السياسية لبعض الأطراف بحسب المستجدات واختلفت عما ذُكر في زمن تأليف الكتاب. (المترجمة)

مرحلة "شهر العسل"؛ نظرًا إلى دعم إيران الكويت خلال حرب الخليج [الثانية]. وأخيرًا، يُبرز المبحث الثالث والأخير أهميةَ فترة ما بين عامي 2002 و2010؛ إذ يركِّز على انهيار نظام صدّام وصعود التيار الشيعي في العراق المعاصر والدور النشط الذي أدته إيران في تشكيل السياسة الداخلية العراقية.

يزودنا الفصل الثاني بتحليلٍ دقيقٍ لردة فعل إيران إزاء الانتفاضات العربية وتصرفاتها وتفاعلاتها معها، منذ شرارة البدء في تونس وانتشارها كتأثير الدومينو في جميع أنحاء الشرق الأوسط. فقد سارعت الدولة الإيرانية، التي تقدِّم نفسها واحدة من أكثر الدول ثورية في المنطقة، إلى الاستجابة للانتفاضات العربية؛ لكن ردة فعلها افتقرت إلى الاتساق وإلى الإجراء الملموس الذي زعمت أنها ستتخذه. يُعَد هذا الفصل مهمًّا في دراسة علاقة إيران بالدول العربية لسببين رئيسين: أولًا، يدرس هذا الفصل هوية البلدان المعنية، كالهوية الثورية للدولة الإيرانية. ثانيًا، يضع هذا الفصل تلك الهوية في سياق الانتفاضات العربية، ويحلّل سؤال ما إذا كانت الهوية الثورية قائمة على المصالح الشخصية لإيران في ما يتعلق بالانتفاضات التي حدثت، أو أن تلك المصالح الشخصية كانت العامل الأهم، وبذلك فإنها تطبِّق هويتها تلك في استجابتها للثورات العربية. لذلك فإن دراسة ردات فعل إيران من كثب تبيِّن مدى تطبيقها لخطابها في السياسة الواقعية. ويعتمد هذا الفصل على التصريحات الرسمية للدبلوماسيين والمسؤولين الإيرانيين، كدليل على خطابهم وتطبيقه عمليًّا في سياساتهم الخارجية.

لِمَ يتناول هذا الكتاب، يا تُرى، ردات فعل إيران تجاه الانتفاضات العربية بالدراسة؟ إن السبب الرئيس وراء ذلك هو إبراز صحة، بل أهمية، عوامل الخوف التي ما زالت تعتري العالم العربي تجاه إيران كدولة ما فتئت تهدد باختراق المنطقة العربية واستعادة نفوذها البائد من خلال دعمها الأقليات العربية. ومع ذلك فقد أتت الانتفاضات العربية كفرصة على طبق من ذهب تستطيع إيران من خلالها أن تُثبت إذا ما كانت ستكتفي بالحديث والأقوال، أم أنها ستتدخل فعليًّا في السياسة العربية، وستحاول التأثير في الخطاب السائد في البلاد المعنية.

هناك دول عدة أتاحت لإيران فرصة كبيرة لممارسة نفوذها على المواطنين الشيعة من أهل تلك البلاد، بيد أن لإيران، كما ذكرنا سابقًا، تاريخًا في المطالبة

بحقوقٍ لم تُدعم بأفعال. وبناء عليه، فإن الفصل الثالث سيستكشف أربع دول، هي البحرين وليبيا وتونس ومصر، وسيقارن بين ردات فعل إيران تجاه الانتفاضات التي اندلعت فيها، أو الغياب الكامل لأي ردة فعل.

يغلق هذا الفصل أبوابه على حجة رئيسة تفنّد الحجة التي تُصوِّر إيران قوة عظمى قادرة على التأثير في سياسات الدول العربية وممارسة نفوذها في المنطقة. والسبب وراء ذاك هو أن الفصل الثالث يُظهِر مدى تفضيل إيران مصالحها الذاتية وأمنها على نتائج التدخل في سياسات الدول الأربع المذكورة. فبدلًا من الانخراط بتهورٍ في سياسات الانتفاضات العربية الفوضوية، لجأت إيران إلى صياغة سياستها الخارجية استراتيجيًّا بهدف استغلال الفراغات السياسية في العالم العربي، وذلك من طريق تلبُّس هويتها الثورية بغض النظر عن مصالحها الخاصة.

يأتي الفصل الرابع ليتعمق في ردة فعل إيران تجاه الانتفاضات التي اندلعت في أربعة بلدان عربية أخرى: سورية والعراق واليمن ولبنان. فبينما كانت إيران تحسب استراتيجيًّا كل خطوة لها في الرد على الدول الأربع الأولى، فضّلت صداقتها مع الحكومات الحاكمة في هذه الدول على صداقتها مع الشعوب؛ ما أتى مناقضًا لصورتها الذاتية ولهويتها كدولة ثورية تدعم حرية الشعب وسعيه الحثيث للديمقراطية.

سيدرس هذا الفصل بمزيدٍ من التفصيل تمايز ردة فعل إيران بين دولة وأخرى، والأسباب التي تقف وراء تمايز استجابتها للانتفاضات التي شهدتها المنطقة العربية. وسنستكشف مجددًا ديناميات توظيف إيران لأدوات سياستها الخارجية ومصالحها الخاصة في تعاملها السياسي مع جاراتها.

لأنّ هذا الكتاب سيغوص في أغوار نظرة العرب العامة إلى الإيرانيين وبالعكس، فقد كان من المهم تخصيص فصل يبحث في نظرة إيران قبل الانتفاضات وبعدها. وبناء عليه، فإن هذا الفصل سيتعمق في تطور نظرة العرب إلى الإيرانيين خلال فترة زمنية تمتد 40 عامًا، تنقسم إلى أربع مراحل تاريخية حيوية، أولها فترة ما بين عامي 1980 و1991 التي تشمل الحرب العراقية–الإيرانية، فضلًا عن ردة

فعل إيران على حرب الخليج [الثانية]. تليها الفترة بين عامي 1991 و2002، فترة التحسن في العلاقات العربية–الإيرانية؛ إذ عززت الحكومات مشاركتها السياسية على الرغم من كون الجمهور العربي متمسكًا بتحفظاته. بعد ذلك، فترة ما بين عامي 2000 و2010 التي شهد فيها العالم العربي وجودًا متزايدًا لإيران في العراق وما تبع ذلك من تأثيرات في السياسة العراقية خلال الغزو الأميركي للعراق. ثم تأتي الفترة الأخيرة بين عامي 2011 و2021 التي يدّعى فيها تورُّط إيران في السياسات الداخلية لعدد من الدول العربية في أثناء فترة الانتفاضات.

يقدِّم هذا الفصل دليلًا على قوة تأثُّر الحكومات بتصورات بعضها بعضًا، محلِّلًا إذا ما كان عامل الخوف الفعلي بين إيران والعرب مؤثّرًا ومهمًّا كما يُصوَّر أم لا، كما يستكشف آراء الشارع العربي العام من خلال دراسة استطلاعات الرأي التي أجرتها مؤسسات موثوقة في المنطقة العربية، ويقدِّم تحليلات لنتائجها.

ختامًا، إن هذا العمل يضع نصب عيني قارئه عنصرين أساسيين في الفهم والتحليل من خلال تعزيز استيعاب الماضي بين إيران والدول العربية وفهم ديناميات المنطقة حاليًّا. إن هذا الكتاب يقدِّم لقارئه أساسًا فريدًا يسافر به عبر الزمن ويغوص في تفاصيل الأحداث التي أرست حجر أساس التفاعلات بين الدول العربية وجارتها المنافسة إيران. إن دراسة أحداث الماضي، وخصوصًا تلك التي تؤثِّر في تفاعلات إيران والعرب حتى اليوم، تقدِّم تفسيرات تتعدى كونها مجرد سردٍ لسلسلة من الأحداث التاريخية، بل إنها، على النقيض من ذلك، تزوّد القارئ برؤية ثاقبة لنفسية شعوب المنطقتين؛ وبهذا يضحي المرء فاهمًا ومدركًا إدراكًا عميقًا التفاعلات وردّات الفعل التي تبديها هذه الدول بعضها تجاه بعض. كما يشرح هذا الكتاب شرحًا متعمقًا التفاعلات المختلفة في سياق الأحداث العالمية والإقليمية. إن هذا الكتاب فريدٌ من نوعه، بابتعاده في نهجه من الطرق والدروب التقليدية في دراسة المنطقة؛ دروبٌ تقتصر عادة على دراسة التنافس بين الطائفتين الإسلاميتين الكبريين، فبدلًا من ذلك الدرس التقليدي ينشئ الكتاب أساسًا متينًا من الفهم يمكن لاحقًا تطبيقه على التطورات المعاصرة.